الفصل الثاني

إسرائيل.. والانقسامات الدينية والإثنية والطائفية

* إعلان دولة إسرائيل:

بعد انتهاء الوجود الرسمي للقوات البريطانية وللانتداب البريطاني على فلسطين، بعد انسحاب الجيش البريطاني، وسيطرة قوات المنظمات الصهيونية العسكرية في حرب عام 1948 على 80٪ من أراضي فلسطين. وقف في 14/ 5/ 1948 دافيد بن غورين أمام «مجلس الشعب» في مدينة تل أبيب، بحضور 37 مندوبا من الاستيطان اليهودي في فلسطين، والمنظمة الصهيونية العالمية ليقرأ ما سمي «بإعلان الاستقلال» و «إقامة الدولة الصهيونية»:

«نحن أعضاء مجلس الشعب «الممثلون للاستيطان اليهودي في أرض إسرائيل والحركة الصهيونية، وبعد انتهاء الانتداب البريطاني، وبناء على حقنا الطبيعي، والتاريخي، وقوة القرار الصادر عن الأمم المتحدة نجتمع لنعلن قيام دولة اليهود على أرض إسرائيل، وتدعى «إسرائيل».

* تأسيس دولة إسرائيل:

وكانت المبادئ التي قامت عليها الدولة، هي «القوانين الأساسية» التي شرعها «الكنيست» البرلمان، وجرى النظر إليها بما يشبه دستورا غير مكتمل لتلك الدولة، لأن إسرائيل حتى هذه اللحظة ليس لها دستور كبقية الدول الطبيعية، وإنما «قوانين أساسية» شرعتها المؤسسات المنتخبة من برلمان وغيرها واعتبرت بمثابة جزء من دستور لم يكتمل طالما لم يكتمل بعد تحقيق الأهداف الشاملة للمشروع الصهيوني.

وجاء في هذه القوانين: «إن الدولة تتخذ شكلًا جمهوريًا، بنظام برلماني، ديمقراطي، على غرار الديمقراطيات الغربية في أوروبا.. ويكون رئيس الحكومة المنتخب من البرلمان هو أعلى سلطة تنفيذية.

ومنذ إعلان الدولة، بدأ أول خلاف جوهري واضح بين اليهود التقليديين، والعلمانيين من جهة، واليهود المتدينين من جهة أخرى يحتل حيزا مهما يتجدد بين فترة وأخرى. فقد أثيرت قضية وضع دستور دائم للدولة اليهودية، وكلفت لجنة لصياغته بما يتفق مع نص «وثيقة إعلان الاستقلال»، وعند تقديمه للحكومة المؤقتة أثار مشروع الدستور اختلافًا حادًا، بين اتجاهات سياسية، ودينية متعددة.

فالحزبان اللذان تشكلا للمشاركة بأول انتخابات برلمانية إسرائيلية (الكنيست) وهما «حزب المتدينين القوميين الصهيونيين « وهو حزب أعلن عن تبنيه للفكر الصهيوني و حزب «أغودات إسرائيل «أي «جمعية إسرائيل» وهو حزب ديني يهودي غير صهيوني ينتمي لما يعرف باسم

«تيار المتدينين الحاراديم «السلفيين المعارضين للفكر الصهيوني، رفضا مشروع الدستور لأنه لم يعتمد التوراة أساسًا للتشريع الإسرائيلي كما اعترضت عليه بعض الأحزاب الليبرالية العلمانية الصهيونية لأنه يخضع الأحوال الشخصية المدنية للشرائع الدينية مما جعل بن غوريون يجمده، ويؤجل الموضوع «لأن المشروع الصهيوني «لم يستكمل بعد جغرافيًا وبشريًا، ولأن الضرورة تستدعي تجنب إثارة مسائل يختلف عليها فرقاء اليهود. كما ظهر خلاف جوهري بين المتدينين اليهود بكافة تياراتهم الصهيونية وكذاك السلفية غير الصهيونية حول تعريف من «هو اليهودي» و «حدود الدولة»، وعلاقة إسرائيل «بيهود العالم وبالحركة الصهيونية، وبالديانة اليهودية».[1]

ولذلك اتفق الجميع على اعتماد «قوانين أساسية « تتعلق بموضوعات يتحقق التوافق حولها بين فترة وأخرى وكلما دعت الحاجة من خلال أغلبية ثلثي أعضاء البرلمان «الكنيست»، ويكون الحكم النهائي المبرم حول أي خلاف فيها أو في غيرها للمحكمة العليا.

وعند أول انتخابات برلمانية لعضوية «الكنيست» تبين أن «حزب المتدينين القوميين» الصهيوني «المفدال» أي (ميفلغات هاداتييم هالئومييم) وحزب «أغودات إسرائيل « السلفي أو «الحارادي»، لم يفوزا معا إلا بنسبة 12 ٪من أعضاء البرلمان، 5 ٪لأغودات إسرائيل و7 ٪ للمتدينين القوميين أي بزيادة قليلة عما كان لهما من نفوذ داخل المؤتمر الصهيوني العام.

(1) وثائق الكنيست بالعبرية (Knesset.gov.il /) – David Ben Gorion

وهذا دل على أن اليهود المتدينين السلفيين المعارضين للفكر الصهيوني القومي حافظوا على معارضتهم الجوهرية للفكر الصهيوني لكنهم أخذوا بعد تشكيل دولة إسرائيل، وفتح أبواب الهجرة اليهودية إليها ينقلون معارضتهم إلى داخل إسرائيل، ومؤسساتها كحل ذرائعي توفيقي اعتمدوا فيه سياسة معارضتها من الداخل بهدف تحسين شروط دعواهم الدينية والحصول على أموال المساعدات الاجتماعية لأنصارهم، وتجنبوا من خلال ذلك مقاطعة معظم مؤسسات الدولة لأنهم يرفضون أن يكونوا وزراء في مؤسسة مجلس الوزراء أو في أي مؤسسات عسكرية وأمنية لأنهم لا يسمحون للمنتمين إليهم ولأنصارهم الخدمة في الجيش لأسباب شرائعية دينية تحظر الخدمة العسكرية على الحاخامين وطلاب المدارس المتخصصة بتأهيل الحاخامين.

ولم يؤيد هذا التيار اليهودي المتدين المعارض للصهيونية داخل إسرائيل سوى نسبة قليلة من الجمهور، لا تتعدى 5٪ في أول انتخابات برلمانية جرت في عام 1949. بينما كانت نسبة المنتمين له وأنصاره خارج إسرائيل، وبين يهود العالم أكبر بكثير، حيث شمل أغلبية المتدينين بالمقارنة بالتيار الديني اليهودي الصهيوني الساحقة.

وحمل هذا التيار اليهودي المتدين المعارض للصهيونية منذ نشوئها، وبعد إعلان الدولة أفكارا ومواقف مختلفة حول اليهودية.

«فأغودات يسرائيل» «جمعية إسرائيل» وهي أبرز من يمثله اعتبرت أن إعلان الدولة أصبح أمرًا واقعًا بالنسبة لها رغم عدم إيمانها بهذه الدولة، ولا بعلمها، ونشيدها، ومناسباتها الوطنية، وقوانينها العلمانية،

لكنها رأت في الوقت نفسه أن هذا لن يؤثر على مشاركتها ببرلمانها، وبعض مؤسساتها طالما وأن ذلك يوفر خدمة لتعزيز قوة المتدينين اليهود السلفيين «الحاراديم»، داخلها للمطالبة بالمحافظة على ما يمكن من مظاهر الشريعة اليهودية فيها والعمل على التأثير على الإسرائيليين ودفعهم إلى الالتزام بالشرائع والفرائض الدينية.

*** حزب المتدينين القوميين:**

أما التيار اليهودي المتدين الصهيوني وأبرز من يمثله حزب المتدينين القوميين «المفدال» فهو يؤمن بهذه الدولة القومية لكنه يعارض قوانينها المفرطة بالعلمانية ويعمل داخل الدولة ومن خلال تسخير الديمقراطية لخلق جمهور يجمع الدين اليهودي مع الفكر الصهيوني الاستيطاني وعسكرة المجتمع على طريق تحقيق إسرائيل الكبرى مع تكييف شريعة التوراة والتلمود مع الدعوة الصهيونية لتحقيق وعد الرب بأيدي «شعبه المختار». ولذلك كان هذا الحزب تغلب عليه المغالاة في السلوك الفاشي المستمد من نصوص التلمود التي تدعو إلى التطرف والتشدد وإبادة الفلسطينيين والعرب

وقد شكل هذا التيار قوة أكبر من قوة المتدينين المعارضين للصهيونية ما بين 7 ٪ الى 8 ٪ من أعضاء الكنيست الأولى، رغم أن 95 ٪ من اليهود في إسرائيل ومن كافة الطوائف والتيارات السياسية ينتمون لنفس المذهب اليهودي وهو الأرثوذوكسي وليس المحافظ أو الإصلاحي. وكان هذا الحزب من مؤسسي الدولة والمشاركين الفعالين في معظم حكومات إسرائيل.

وبالمقابل أصبح التيار اليهودي المتدين السلفي بكافة صوره وطوائفه المعارضة للصهيونية، ينتهج سياسة معارضة لكل ما لا يتفق مع السياسة التي يضعها الحاخامون الذين يمثلونه من داخل إسرائيل نفسها مستفيدًا من هجرة أتباعه إليها، وتأسيس أحيائه ومستوطناته الخاصة، ولتعزيز نفوذه فيها لتحويل دولة إسرائيل - «دولة الكفر» إلى دولة تقوم على تطبيق «شريعة التوراة»، وربطها بغائية الوعد الإلهي وانتظار معجزاته وعدم الانصهار بسياسة هيرتزل وصهيونيته إلى أن تتحقق مملكة السماء على الأرض.[1]

* العنصرية اليهودية:

لأن معظم طوائف ما يسمى بـ «الشتات اليهودي» عاش في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ودول أوروبا الأخرى وكان خاضعًا للقيادات الروحية اليهودية الإشكنازية (أي الغربية) فإن هوة عميقة تفصله عن الطوائف اليهودية السفارادية (أي الشرقية) التي عاشت في الشرق قبل القرن السادس عشر وبعده من نواح دينية طائفية وأخرى تربوية واتنية. ورغم وحدة التعليم اليهودي العلماني بشكل عام في إسرائيل فقد حملت كل مجموعة منهما تقاليدها وتراثها الطائفي، والتربوي المختلف عن الآخر وتعايشت كل منها بموجبه. فاليهودي من أصل عربي، أو شرقي آسيوي كان شديد الاختلاف عن اليهودي الغربي «الإشكنازي» من هذه النواحي بل ومن نواح تتعلق بمظاهر العبادة الدينية اليهودية وطقوسها المختلفة.

(1) وثائق الكنيست -بالعبرية parties in first Knesset (Knesset.gov.il)

يؤكد الحاخام إسحاق ليفي وزير المواصلات الإسرائيلي وأحد قادة حزب «المفدال» الديني الصهيوني، وهو من أصل مغربي هذا الخلاف قائلا: «هناك اختلاف كبير بين اليهود «السفاراد يم»، و «اليهود الأشكناز» حتى بطريقة الصلاة اليهودية في الكنيس. فاليهود الشرقيون يجلسون ووجوههم متجهة إلى الهيكل بينما يجلس الأشكناز صفوفًا متتالية.. نعم ثمة اختلافات في الثقافة، والتربية اليهوديتين بين الطائفتين».[1]

ومنذ وصول المهاجرين اليهود إلى فلسطين بأعداد كبيرة كان الانقسام بين هاتين المجموعتين يتكرس من خلال توزعهم وفق بلد المنشأ الذين قدموا منه.

فثمة مدن في فلسطين تعيش فيها أغلبية يهودية شرقية، وأغلبية أخرى تعيش فيها أغلبية أشكنازية. فالقدس على سبيل المثال يمثل فيها الأشكناز المتدينون الغالبية (90 ٪) وكذلك الأمر في مدينة تل أبيب أكبر تجمع سكاني، فهي تضم أيضًا أغلبية أشكنازية ليبرالية غير متدينة بينما يوجد بالمقابل بعض تجمعات سكانية يعيش فيها 90 ٪من اليهود المغاربة، وأخرى معظم سكانها من يهود اليمن، أو يهود العراق..

(1) مقابلة مع التلفزيون الإسرائيلي بالعبرية -القناة الأولى برنامج خمس دقائق قبل الخامسة بالعبرية لدان مارغاليت 20 أيار 1996 إسحاق ليفي

ويعترف إسحاق ليفي: «كل شيء يجري هنا حسب الأصول الإثنية للسكان االيهود، فثمة تجمعات سكانية يعيش فيها 90 ٪من يهود المغرب.»

وفي إحصائية إسرائيلية حول الانقسام الإثني بين الطوائف اليهودية في الثمانينيات، بالاستناد إلى علاقات الزواج، تبين أن المجموعات الإثنية التي تعود لأصول شرقية، لا يتزوج معظم أفرادها إلا من نفس المجموعة، ولا يميل معظم هؤلاء إلى الزواج من المجموعات الإثنية الإشكنازية الغربية، وكذلك الأمر بالنسبة للآخرين.

وهذا ما يدل على تبلور مجتمع شرقي واسع النطاق بين اليهود، جنباً إلى جنب مع تبلور مجتمع إشكنازي منفصل.

ويعترف الدكتور «يوسي شابيط»[1] والدكتورة «حياة شتاير «المختصان بالعلوم الاجتماعية، في جامعة تل أبيب اللذان أجريا هذا التحقيق، والإحصاء الاجتماعي الداخلي، بازدياد الزيجات التي تجمع بين نفس أفراد المجموعات الإثنية، والابتعاد عن الزيجات المختلطة بين شرقيين وغربيين.

وكانت سلطات الإحصاء الإسرائيلية، قد لاحظت أن 25 ٪ من الزيجات التي جرت بين اليهود في إسرائيل، خلال الـ 15 عاما الماضية هي مختلطة، تجمع بين الشرقيين والغربيين و 75 ٪ إثنية، داخلية.

(1) البروفيسور يوسي شابيط (جامعة تل أبيب –دراسات في العلوم الاجتماعية) 1997 (newbicohen.tau.ac.il)

وهذا ما يؤكد تمسك كل مجموعة بطائفتها الإثنية، وازدياد الانقسام الإثني بين يهود إسرائيل رغم وجودهم تحت سلطة يهودية واحدة.

وكان التحقيق الذي أجراه الباحثان من جامعة تل أبيب، قد درس مسألة الزواج عند المجموعة الإثنية اليهودية الشرقية، التي تعود أصولها إلى يهود اليمن، والمغرب العربي، وكذلك إلى المجموعة الإثنية الإشكنازية «يهود البلقان»، والاتحاد السوفياتي سابقًا، وبولندا، ورومانيا، ووسط أوروبا، وبقية أوروبا، وأمريكا، فتبين لهما من الإحصاءات أن معظم اليهوديات الشرقيات يتزوجن من يهود شرقيين، كذلك الأمر عند النساء الإشكنازيات، وهذا ما جعل كل مجموعة تسكن في مدنها، ومستوطناتها الخاصة، وتشكل فيها الأغلبية.. كما لاحظوا أن الزيجات بين أفراد المجموعات الشرقية مثل اليمنية هي السائدة داخل هذه الطائفة، لكنها حين تمتد خارجًا فإنما تتجه نحو مجموعة شرقية مثلها مغربية، أو عراقية لكن ليس إشكنازية مما عزز تشابك واختلاط الشرقيين ببعضهم البعض، ورغم منشئهم المتعدد، والمتوزع على البلدان العربية.

وفي مثل هذه الحالة الإسرائيلية الخاصة، والمميزة يتحقق لكل مجموعة ممارسة تقاليدها وأعرافها الاجتماعية، بمعزل عن الأخرى. فالعادات عند اليهود الشرقيين، أقرب إلى العادات العربية من ناحية الحياة الاجتماعية، والأسرية تقريبًا.

بينما تشبه العادات عند اليهود الغربيين تمامًا عادات الغرب، خاصة حين يكون هؤلاء من اليهود الإشكناز غير المتدينين. ويلاحظ أن

سيطرة اليهود الأشكناز العلمانيين هي السائدة من النواحي الاقتصادية، والسياسية، والثقافية في إسرائيل.

وقد تجلت السيطرة الاقتصادية بتمثيل زائد لليهود الغربيين في الشرائح الطبقية العليا، وتمثيل زائد لليهود الشرقيين في الشرائح الدنيا.. وتجلت السيطرة السياسية بإدارة اليهود الغربيين لمعظم مؤسسات الحكم، «فجميع رؤساء حكومات إسرائيل خلال خمسين عامًا من اليهود «الأشكناز». ومعظم الوزراء كانوا دومًا من الأشكناز، بل ومعظم قادة الجيش، وضباطه الكبار ناهيك عن السلك الجامعي والأكاديمي الإسرائيلي.

ورغم الازدياد المطرد نسبيًا بعدد أعضاء البرلمان من اليهود الشرقيين من ثمانية أعضاء عام 1961 إلى 31 عضوًا عام 1984 (25٪) من أعضاء البرلمان، إلا أن هذه النسبة لم تتوافق مع نسبتهم من مجموع السكان اليهود 37٪ الى 40٪.(19)[1]

وعلى الرغم من هذه الفجوة الكبيرة، أخذت نسبة قليلة من شرائح الطوائف اليهودية الشرقية تميل إلى الانصهار في الثقافة الإشكنازية الغربية، مما جعل الثقافة، والتقاليد الشرقية في قلب المجتمع اليهودي الشرقي تضعف نسبيًا خصوصًا عند الجيل الحديث الآن.

(1) وثائق الكنيست بالعبرية Knesset.gov.il (parties in first Knesset -)

الانقسام الديني اليهودي بين اليهود الشرقيين «سفاراد»[1] والغربيين «إشكناز»:

إذا كانت الأرثوذكسية اليهودية تشكل قاسمًا بين اليهود المتدينين الشرقيين، واليهود المتدينين «الأشكناز» الأرثوذكسيين، فإن الاختلاف أو الانقسام من ناحية دينية واقع لا يمكن نفيه، أو إنهاؤه في عصرنا الراهن.

فلكل من الطائفتين المتدينتين حاخامها الأكبر، ومؤسساتها الدينية الخاصة بها. هكذا كانوا خارج فلسطين، قبل نشوء الحركة الصهيونية وظلوا على هذه الحال بعد نشوئها أيضًا.

قد ترسخ هذا الانقسام الديني، وليس الإثني فحسب في إسرائيل نفسها، حين طلب اليهود الأشكناز اليهود المتدينون من السلطات الانتدابية البريطانية عام 1921 الموافقة على اختيارهم لحاخامهم الأكبر، وعدم اعتبار «الحاخام «الأكبر الشرقي «السفارادي «حاخامًا، تسري سلطاته الدينية عليهم كما كان الأمر سائدًا في فلسطين أثناء الحكم العثماني فيها. وبدعم من الحركة الصهيونية، التي يسيطر عليها «الأشكناز «اليهود، وافقت سلطات الانتداب البريطاني على أن يكون لكل طائفةٍ حاخامها الأكبر، ومؤسساتها الدينية الخاصة.[2]

(1) كلمة سفاراد هي الاسم الذي أطلقه اليهود الذين جاءوا مع العرب على بلاد الأندلس وأسبانيا وكانوا يعيشون فيها إلى جانب العرب المسلمين منذ تأسيسها في القرن الثامن ولذلك أطلق عليهم اسم يهود سفاراديم للإشارة إلى أنهم شرقيون بعد رحيلهم مع انتهاء الدولة العربية في الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر.

(2) الكنيست بالعبرية –النظام السياسي في إسرائيل Knesset.gov.il

ومنذ ذلك الوقت، وحتى الآن ترسخ في إسرائيل عند الطائفتين هذا الانقسام، فلكل طائفة أفرادها، وجمعياتها الدينية، وميزانياتها، ومبراتها الخيرية.

ونظرًا لوجود السيطرة الإشكنازية في السلطة السياسية، والتشريعية الإسرائيلية عند إعلان الدولة، وحتى الآن، فقد اعتبرت الدولة الحاخام الأكبر الإشكنازي هو حاخام إسرائيل كلها، وسمحت للحاخام الأكبر «الشرقي» رعاية طائفته، وترتيب الخدمات الدينية لها، وفق شرائع الشرقيين الدينية.

وفي ذلك الوقت، أحس اليهود الشرقيون المتدينون، وغير المتدينين بالخوف من سيطرة المؤسسة الدينية الإشكنازية ولذلك أخذوا يرتبطون أكثر فأكثر بحاخامهم الأكبر وجمعياتهم الدينية الشرقية الخاصة.

ويظهر الاختلاف الجوهري الديني بين الطائفتين، في طقوس ونهج العبادة الشرقي المختلف عن الغربي، وكذلك في لغة العبادة نفسها، ناهيك عن تقديس بعض الحاخامين الشرقيين، ممن لا يعترف بهم الحاخامون «الأشكناز» بقدسيتهم ومكانتهم الدينية ولا يقرون «بمعجزاتهم»، أو «حسناتهم» على اليهود..

وكما ذكر الحاخام إسحق ليفي سابقًا: يختلف شكل الصلاة، والتلاوة، والتربية، والتعليم الديني عند اليهود الشرقيين، عما لدى اليهود «الأشكناز».

كما أن الحاخامين الأشكناز يجيزون في الشريعة اليهودية أمورًا لا يقر بإجازتها الشرقيون، مثل تنصيب النساء حاخامات في الولايات المتحدة وغير ذلك من الممارسات التشريعية اليهودية، التي تتسامح مع الشذوذ.

وقد عكس هذا الانقسام الديني واقعه على المجتمع الإسرائيلي، فاليهود الشرقيون يرفضون وجود حاخام أكبر واحد لكل يهود إسرائيل والشتات ولا يقبلون بحاخام في قرية، أو مدينة يعيشون فيها إلا إذا كان تابعًا للحاخام الأكبر الشرقي السابق «عوبادیا یوسف» أو یوسف عمار الحاخام الأكبر الذي حل محله.

يقول الحاخام اليهودي الشرقي إسحق ليفي وهو من قادة حزب المتدينين الصهيونيين: «إذا كان أغلب سكان مدينة، أو مستوطنة، أو قرية يهودية من أصول مغربية، فلن يقبلوا بغير حاخام مغربي، وكذلك يفعل اليمنيون والعراقيون».

ويقول الحاخام آرييه غاملئيل من حزب «شاس» الديني لليهود الشرقيين، الذي يتزعمه الحاخام الأكبر «عوبادیا یوسف»: «لقد سيطر الأشكناز في إسرائيل على جميع مراكز السلطة، ونحن لا نقبل هذا التمييز ضدنا، لذلك قررنا التمسك بثقافة آبائنا وعاداتهم»[1]

ويظهر هنا تمامًا أن الانقسام الإثني بين يهود شرقيين، ويهود إشكناز يعززه أيضًا، ويرسخه انقسام ديني بين مذهب يهودي،

(1) موقع حركة شاس بالعبرية -تأسيس الحركة shas.org.il

أورثوذكسي شرقي، وآخر غربي، يستحيل التقاء الواحد منهما مع الآخر، إلا حين تتعلق القضية بصراع بين المتدينين اليهود بشكل عام، والعلمانيين اليهود أو بين الإسرائيليين والعرب. فمن القواسم التي يلتقي عليها قادة، وأفراد الطائفتين الدينيتين مواجهة العلمانيين اليهود، وكذلك الدفاع عن معسكر «اليهود الأورثوذكس الحاراديم»، وهذا المعسكر «الحارادي» معارض للصهيونية من نواح عديدة جوهرية وليست سياسية في داخل دولة إسرائيل وخارجها كما ذكرنا سابقًا ويتطلع إلى تحقيق مملكة السماء على الأرض بإرادة إلهية توراتية، وليس عبر الحركة الصهيونية، وإرادتها البشرية.

ومن مظاهر الانشقاق بينهم، أن كل طائفة لها مفهومها الخاص، حول «المسيح» الذي سيمثل «إرادة رب إسرائيل» في إنجاز هذه المملكة.

فالطائفة الإشكنازية المتدينة اعتادت على إطلاق صفة «المسيح «على آخر حاخام تعتبره «المسيح» المنتظر وهو مناحيم مينديل شنيرسون، الذي توفي في عام 1994 ويقول أتباعه أنه سيظهر مرة أخرى بصفته «المسيح «الذي اختاره رب إسرائيل 0 (جويش فيرتشوال لايبراري -الحاخام شنيرسون) بينما لم يعترف الحاخامون في طائفة اليهود الشرقيين بذلك «المسيح»، معتبرين أن «المسيح الحقيقي «قادم من صلب تلك الطائفة فقط.

* المذاهب والتيارات الدينية في إسرائيل:

انقسام يهود العالم إلى ثلاثة تيارات دينية منفصلة عن بعضها البعض:

إذا كان اليهود المتدينون الأرثوذكس «الحاراديم «ينقسمون إلى تيارين منفصلين متعارضين هما الشرقيون والأشكناز الغربيون، فان يهود العالم ينقسمون بالأصل إلى ثلاثة مذاهب، يتعارض أحدهما مع المذهبين الآخرين إلى حد عدم اعترافه بيهودية أتباعهما.

* المذاهب اليهودية الثلاثة العريضة

1 اليهودية الأورثوذوكسية، وهي السائدة بين يهود إسرائيل المتدينين بشكل عام، وتعبر عنها السلطة الدينية الإسرائيلية التي يمثلها الحاخام الأكبر الرسمي في إسرائيل، وهي تعتبر يهودية «دوغمائية» سلفية تتمسك بالنصوص الحرفية لحد القدسية المطلقة، وتخلع عليها تفسيرات حاخامية تزيد من وطأة حرفيتها إلى حد يخرج عن المألوف، ويتجاوز الواقع.[1]

2 اليهودية الإصلاحية: تعتبر اليهودية الإصلاحية من المذاهب الأولى التي تحدت اليهودية الأورثوذكسية الحاخامية، وقد ظهرت في ألمانيا في عصر الاستنارة «تعبيرا عن تحكيم العقل في كل المعتقدات اليهودية، وهي تؤمن بفصل المكون الديني عن المكون العرقي، أو

(1) المذاهب اليهودية بالانكليزية (jewishvertuallibrary.org (origins of reforms

القومي في العقيدة اليهودية، بحيث يصبح المكون الديني وحده ملزمًا، ويسقط أي تفسير قومي لأفكار أخرى مثل «العودة» و «النفي» و «العصر المسيحاني» (أي ظهور المسيح ومعجزة الانعتاق الأبدي لليهود).

وتعتبر أن الدين اليهودي مجرد أفكار تعبر عن تطلع ديني قد يتحقق في آخر الأيام، أو بالتدريج عبر التاريخ. وهي لا تؤمن أن التوراة والتلمود مرسلان من «الرب «وإنما» هما مجموعة أقوال حكيمة، وأساطير شعبية ألهم الخالق بعض الأنبياء بها، لكنه لم يوح إليهم بها. وأنه من «حق المخلوق التصرف حسب ما يمليه عليه العقل أو العصر، فيغير ويبدل بالشعائر، بل يسقطها تماما في بعض الأحيان». والإصلاحيون لا يلتزمون بالوصايا العشر، والنبوءات ولا يقيمون شعائر السبت أو الطعام الشرعي إلا بشكل جزئي من قبيل الحفاظ على الفولكلور.

واليهودية الإصلاحية يهمها أن يعيش اليهودي في الوطن الذي يسكن فيه كمواطن مندمج بحضارته «بحيث يتحول إلى مواطن في الشارع ويهودي في منزله».

3 اليهودية المحافظة: «هي مجموعة من التيارات الفكرية التي تشكلت لدى شريحة علمانية من اليهود في أوروبا والولايات المتحدة بشكل خاص ترى أن الإيمان بالعقيدة اليهودية تعبير عن روح الشعب اليهودي الثابت لا روح العصر المتغيرة، وبأن هذه العقيدة تطورت عبر التاريخ وأخذت أشكالًا مختلفة، وبأنها قادرة على التكيف مع اللحظة التاريخية. واليهودية المحافظة لا تعتبر «اليهودية عقائد مطلقة ثابتة،

وإنما تراث آخذ في التطور التاريخي الدائم. لكن أي تغيير يدخل على هذه العقائد، لا بد أن يكون نابعًا من صميمها معبرًا عن روح الشعب اليهودي وهويته».

ويمكن القول إن اليهودية المحافظة ترى الدين اليهودي باعتباره «الفولكلور اليهودي، أو الروح القومية لليهودية». وهي في هذا تقترب من الرؤية الصهيونية لليهودية. لكنها على غرار الإصلاحية «لا تؤمن بأن التوراة مرسلة من الإله بل تعتبرها مجرد أقوال حكيمة وأساطير شعبية». وتؤكد أيضًا على «وضع كل فكرة في ميزان العقل المتحرر من الفرض الإلهي».

وكلاهما يعتبران من المذاهب الليبرالية المتحررة كثيرًا في شؤون الشريعة اليهودية والسلوك الديني اليهودي.

والخلاف الأرثوذكسي اليهودي، من جهة والإصلاحيين، والمحافظين من الجهة الأخرى جوهري لا يمكن تسويته برأي اليهود الأورثوذكس إلا بتخليهما عن جميع «البدع العصرية والهرطقات الكافرة بالدين اليهودي» وإيمانهما باليهودية الأورثوذكسية.

وهذان المذهبان هما السائدان عند 85 ٪ من يهود الولايات المتحدة، الذين يهتمون بانتمائهم اليهودي فهما «دين» أغلبية يهود الولايات المتحدة الأمريكية، الذين يتمسكون بيهوديتهم ولهما مؤسساتهما الخاصة من كنس ومدارس وجمعيات. ولهما شرائعهما الخاصة المختلفة كليًا عن الشرائع الأورثوذكسية اليهودية في الزواج

والطلاق، وطقوس «التهويد والعبادة. وقد اشتد الخلاف بين اليهودية الأورثوذكسية وبين المذهبين الإصلاحي، والمحافظ في الآونة الأخيرة حين تقدمت الأحزاب الدينية اليهودية الأورثوذكسية في إسرائيل 23 مقعد في البرلمان مستغلة نفوذها المتزايد بمشروع قانون للبرلمان (الكنيست) الإسرائيلي، يدعو إلى اعتبار شرائع المذهب اليهودي الأورثوذكسي في (التهويد) و(الزواج)، و(الطلاق)، والشؤون المدنية اليهودية، بمثابة الأساس التشريعي الديني الوحيد لليهود أينما كانوا في إسرائيل، أو خارجها واعتمادها حكمًا فاصلًا في «تحديد من هو اليهودي» لأن المذهب الأرثوذكسي اليهودي لا يعترف بكل من أطلقت عليه الكنس الإصلاحية، والمحافظة صفة «اليهودي» لأنها لا تعترف بشرائعها في هذا الشأن، خصوصًا وأن الإصلاحيين، والمحافظين أباحوا ترسيم النساء حاخامات وأباحوا كذلك الشذوذ الجنسي بين الذكور والإناث، بل رسموا بعض الشاذين والسحاقيات حاخامين وحاخامات في الولايات المتحدة، وبريطانيا، وقد أقر البرلمان (الكنيست) مشروع القرار هذا بالقراءة الأولى بأغلبية الأصوات، حيث دعم الصهيونيون في الليكود والأحزاب الدينية المشاركة معهم بالسلطة هذا القرار تجنبًا «لانفراط «الائتلاف الحكومي.[1]

وتمهيدًا لإقناع اليهود الأورثوذكس اليهود بإمكانية التوصل إلى حل وسط، اعتاد البرلمان الإسرائيلي على استبعاد بحث هذه المسألة المختلف عليها جوهريا مع اليهود الإصلاحيين والمحافظين.. وهو

(1) الكنيست بالعبرية (مشكلة من هو اليهودي والأحزاب الدينية اليهودية) Knesset.gov.il

الحل المعروف «بالتسليم بالأمر الواقع الراهن» الذي يقضي بأن يستمر الإصلاحيون والمحافظون في شرائعهم، واجتهاداتهم، ويستمر الأورثوذكس بالمقابل في شرائعهم دون المساس بالمذهبين الآخرين ريثما يتوصل الفرقاء إلى حل لهذه المعضلة.

ولذلك عاد «البرلمان» الإسرائيلي، وجمد الاستمرار بالتصويت على مشروع قرار اليهود الأورثوذكس بقراءته الثانية معيدًا المسألة إلى سابق عهدها القديم.

ولو جرى تشريع هذا المشروع في البرلمان بالقراءة الثانية، والثالثة لأصبح قانونا ملزما يقسم اليهود نهائيًا إلى قسمين لا يربط بينهما رابط، لأن مشروع قرار اليهود الأورثوذكس سيجرد في تلك الحالة يهود الولايات المتحدة 85 ٪منهم يعتبرون أنفسهم إصلاحيين، ومحافظين من يهوديتهم، ويلقي شكوكا على مسألة دعمهم لإسرائيل أو التشجيع على الهجرة إليها.

ولعل هذا العامل هو الذي جعل الصهيونيين في إسرائيل من حزب «الليكود» و«حزب العمل» يضغطون على اليهود المتدينين الأورثوذكس، لقبول مشروع اقتراح «تجميد هذه المسألة» في الوقت الراهن.

ومع ذلك تشكو القيادة الإسرائيلية السياسية من عدم وجود حماسة لدى اليهود الإصلاحيين، والمحافظين للهجرة إلى إسرائيل. ففي الولايات المتحدة ما يزيد على 5.5 مليون يهودي 85 ٪من الإصلاحيين والمحافظين، ولا يهاجر منهم إلى إسرائيل سوى المئات

أو الآلاف، فهم يعتبرون الولايات المتحدة معقلهم ومقرهم، وإن كانوا يتعاطفون مع إسرائيل، ويشكلون لها مراكز نفوذ قوية في إدارات الحكم في الولايات المتحدة، وهناك من يعزو هذه العلاقات مع إسرائيل إلى عوامل اقتصادية، ومالية، وليس إلى عوامل دينية يهودية، رغم أن عددًا من المحافظين والإصلاحيين يهود صهيونيون تهمهم إسرائيل من نفس منطلقها الصهيوني.. ولذلك يمكن القول أن الانقسام بين اليهود الأورثوذكس، وهم غالبية يهود إسرائيل من جهة، واليهود المحافظين، والإصلاحيين من الجهة الأخرى من أخطر أنواع الانقسام الذي لا حل له إلا بنفي كل جهة للأخرى، بل ويتعاظم دور هذا الانقسام حين نجده قائمًا بين أغلبية يهود الولايات المتحدة وبين أغلبية يهود إسرائيل اليهود الأورثوذكس.

فهذا الانقسام بين يهود ينكرون يهودية يهود آخرين يحول خمسة مليون يهودي أمريكي تقريبًا إلى يهود لا تقبل بهم سلطات إسرائيل الدينية، إلا إذا أصبحوا يهودًا أورثوذكسيين، لكي ينطبق عليهم قانون تعريف «اليهودي» على الطريقة الأورثوذكسية الإسرائيلية.

وقد اعترف زعيم «أغودات يسرائيل» اليهودي الأورثوذكسي «الحارادي «لحاخام موشيه شارار» بأن «قادة اليهود الإصلاحيين في الولايات المتحدة أخذوا يضغطون بشدة على أعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي، وفي مجلس النواب لتقليص المساعدات المقدمة لإسرائيل إذا صادق البرلمان الإسرائيلي على مشروع قرار اليهود المتدينين الأورثوذكس بشكل نهائي.ومع ذلك يعتبر اليهود

الإصلاحيون، والمحافظون من المتفقين كثيرًا مع اليهود العلمانيين الصهيونيين الليبراليين غير المتدينين فهم أقرب إليهم من أي يهودي آخر ينتمي للمذهب الأورثوذوكسي. ولذلك لا يوجد بين هذه الفئات الثلاث خلافات جوهرية باستثناء أن الإصلاحيين والمحافظين لا يؤمنون كثيرًا بالهجرة إلى إسرائيل، أو العيش الدائم فيها، ولذلك تغلب المصلحة الاقتصادية النفعية في علاقاتهم معهم، ومع إسرائيل على أية مصلحة أخرى بشكل عام.

الانقسام بين المتدينين الصهيونيين من جهة والمتدينين «الحاراديم» الأشكناز، والشرقيين من الجهة الأخرى:

استند المتدينون الصهيونيون إلى فكرة أساسية في تشكيل أيديولوجيتهم الدينية اليهودية، هي عدم الاعتماد والمراهنة على فكرة التوراة الداعية إلى انتظار «المسيح «القادم من الطائفة اليهودية الإشكنازية لتنفيذ «وعد رب إسرائيل» بنقل اليهود إلى مملكته في فلسطين من أجل إقامة مملكة إسرائيل الأبدية تجسيدًا للانعتاق الأبدي الذي تحققه الإرادة الإلهية.

وقد رأت الصهيونية الدينية أن الالتزام بفكرة التوراة والتلمود الداعية إلى انتظار إشارة من الرب لتحقيق الوعد في أرض إسرائيل جعلت اليهود لا يقومون بأي عمل بشري، وسياسي مباشر وخطة ملموسة تعيدهم إلى «أرض الميعاد».ولذلك شجع المتدينون الصهيونيون الانتقال إلى مرحلة العمل اليهودي المباشر والتخلي عن فكرة الانتظار السلبي لوعد الرب، التي سادت خلال ثمانية عشر قرنًا،

وما تزال تؤثر على المتدينين اليهود، وكافة قياداتهم الروحية باستثناء من اقتنع بفكرة الصهيونية الدينية. واستغلت الصهيونية الدينية مقولتين أساسيتين يؤمن بهما عامة اليهود، وجعلتهما دعاية فكرية لمفاهيمها وهما: «الشعب المختار» و «أرض الميعاد»، وكان أول القيادات الدينية التي تمثل هذه الدعوة الصهيونية الحاخام يهودا قلعي (1778 1878)، الذي اقترح الكف عن انتظار «المسيح» والإرادة الإلهية، والبدء بالعودة إلى فلسطين تحت قيادة زعامة بشرية يهودية وليس مسيحانية في البداية.

ودعا إلى إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين كي تكون مقدمة لظهور «المسيح».. ولذلك أصبح جوهر أفكار الصهيونية الدينية هو: «التمهيد لتحقيق المشيئة الإلهية بظهور «المسيح» عن طريق أعمال بشرية استيطانية في فلسطين، والحفاظ على الهوية الدينية لليهود أينما كانوا، لأن ذلك يرضي «رب إسرائيل»، ويمهد لتجسيد إرادته بظهور المسيح....[1]

ويمثل الحزب المتدين القومي «المفدال «في إسرائيل هذا التيار الديني الصهيوني من النواحي السياسية، والاجتماعية، منذ أن تأسس عام 1956 م من اتحاد «حركة همزراحي «المركز الروحي و «العامل المزراحي» الحركتين اللتين ترعرعتا في قلب الحركة الصهيونية، في بداية القرن العشرين على أفكار الحاخام يهودا قلعي، والحاخام الروسي شموئيل موهليفير (1824 1898 م)، ومن بعدهما على أفكار

(1) jewishvertuallibrary.org ((بالانكليزية سامويل موهيليفير والحاخام كوك)

الحاخام ابراهام كوك أشرس الصهيونيين المتدينين، وأكثرهم تأثيرًا في تسخير الدين اليهودي للأهداف الصهيونية.[1]

فقد شن الحاخام كوك في سنوات العشرينيات من هذا القرن هجومًا شديدًا، على من لا يهاجر إلى إسرائيل من المتدينين اليهود المعارضين للصهيونية، واعتبر اليهودية في الشتات «ليس لها وجود حقيقي إلا على اعتبار أنها تتغذى بقطرات الحياة من أرض إسرائيل القدسية».

ورأى كوك أن الحياة القدسية اليهودية الحقيقية (أي المنضوية بالصهيونية) لا تظهر إلا بعودة الأمة لبلادها رافضًا انتظار «المسيح «رغم إيمانه به، وبالإرادة التي يمثلها «رب إسرائيل» في إعادة اليهود لأرض «الميعاد».[2]

وجاء من بعده الحاخام مئير بارايلان، ليؤكد بشكل أكثر شراسة على ضرورة الإيمان بالصهيونية، وانضواء المتدينين اليهود في مشروعها تمهيدًا لاستعجال مشيئة الرب ببعث «المسيح» المطلوب لهذه الغاية. (Bar ilan(israelphately.org.il /articles

* التيارات الدينية والصهيونية:

مما لا شك فيه، أن النجاح في تأسيس «دولة إسرائيل» عام 1948 قد وفر مبررات قوية للصهيونية الدينية، ومفاهيمها، وعزز دعواها بين

(1) نفس المصدر

(2) encyclopedia.com –Encyclopedia of World Biography –Abraham Issac Kuk

نسبة من اليهود المتدينين في تحويل فكرة «أرض إسرائيل» النقطة المركزية في حياة اليهود بدلًا من انتظار «المسيح» ومعجزته.

وكان المتدينون القوميون أول من شن الحرب على «المتدينين الحارايديم»، أو «المتدينين اليهود السلفيين المتمسكين بنصوص وتعاليم التوراة، والتلمود، ومواعظ الحاخامين السابقين وحرفية الالتزام بدعواها «المعارضة للعمل الصهيوني، وسياسته الكافرة» بنظرهم.

أما المتدينون «الحارايديم «المعارضون للصهيونية، والداعون إلى تكفيرها، فينطلقون في رفضهم للصهيونية من مبدأ أن «الخلاص الحقيقي لليهود»، هو الخلاص «المسيحاني «الذي تقره التوراة والتلمود وأقوال الحاخامين السابقين (أي انتظار المسيح)، وهذا الخلاص هو الذي يحقق تأسيس «مملكة الرب في أورشاليم» ولا يمكن أن يتم بوسائل بشرية، حتى وإن استخدم المال والسلاح. ويستشهد هؤلاء بما ورد في سفر أشعيا (52: 3): « هكذا قال الرب لقد باعوكم بدون مقابل لذلك لن يفك أسركم بالمال».. وفي سفر زكريا (4: 6): «لا بالعنف، ولا بقوة الجيش لكن بروحي».

وفي سفر هوشع (1: 7): «سوف أخلصهم بصفتي رب الجنود، ولن أنقذهم بالقوة، ولا بالسيف، ولا بالحروب، ولا بالخيل، ولا بالفرسان بل بقوتي ».

وقد كان لهذا الرأي امتداداته الواسعة في أوساط اليهود منذ تأسيس الحركة الصهيونية فثيودور هرتزل اعتبر من الهراطقة الكافرين،

وتشكلت معارضة يهودية دينية لا يستهان بها ضده، عرقلت مساعي الحركة الصهيونية على تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، حتى أن الهجرات الأولى، التي جاءت إثر الحرب العالمية الأولى، لم تضم في غالبية أفرادها سوى يهود غير متدينين، معظمهم من روسيا التي انهارت القيصرية فيها عام 1917 بعد الثورة البلشفية، فاضطربت أوضاعها السياسية، والاقتصادية والإثنية مما أطلق العنان للحركة الصهيونية لاستغلال تلك الظروف السيئة، وتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين.

وامتدت معارضة الصهيونية بين الطوائف اليهودية المتدينة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ففي عام 1943 «عقد اجتماع ضم اثنين وتسعين حاخاما من التيار الحارادي السلفي، في محاولة لعرقلة تيار الصهيونية ومعارضته، حيث صدر عن الاجتماع بيان جاء فيه: «إننا لا نستطيع الإسهام في التوجيه السياسي الذي يسيطر على البرنامج الصهيوني الحالي، ولا نؤيده، وذلك استنادًا لمفهومنا العالمي لتاريخ المصير اليهودي، ولأننا مهتمون بوضع اليهود وأمنهم في الأجزاء الأخرى من العالم، فنحن نعتقد أن القومية اليهودية تعمل على خلق الحيرة، والغموض لدى زملائنا حول مكانتهم ووظائفهم في المجتمع، وتحويل انتباههم عن دورهم التاريخي، وهو أن يعيشوا في مجتمع ديني أينما كانوا».(الموسوعة اليهودية بالانكليزية: الخلاف بين الصهيونية والمتدينين الحاراديم -)

ومع ذلك تبقى نقطة الخلاف الجوهرية بين المتدينين «الحاراديم «والفكر الصهيوني هي «أن الدعوة الصهيونية لوعد الرب، والأخرى

اليهودية لهذا الوعد كما تظهر في التوراة والتلمود لا يمكن أن تشكل قاسما مشتركا بين الفريقين، لأن الصهيونية تعتبر بنظر الشريعة اليهودية السلفية ونصوصها تمردًا على «رب إسرائيل»، وخيانة لشعبه المختار، وأن اليهودي الصالح لا يمكن أن يكون صهيونيًا، والصهيوني لا يمكن أن يكون يهوديًا صالحًا. والعودة «لأرض الميعاد» لإعلان مملكة إسرائيل «رهن «بإرادة رب إسرائيل وتوقيته ومعجزته فقط لأن هذا ما يشكل الانعتاق الأبدي لبني إسرائيل».[1]

ويمثل هذا الرأي من الناحية التنظيمية، والسياسية «حزب أغودات إسرائيل» (جمعية إسرائيل) الذي أسسه عام 1912 في بولندا حاخامو ألمانيا، وليتوانيا، وهنغاريا، وبولندا من اليهود الأورثوذكس، كحركة تعارض الصهيونية، وتعتبرها كفرًا، ومروقًا عن التوراة، والتلمود، واعتداءً على سلطة «المسيح» وإرادة رب إسرائيل.

وقد لاقت معارضة هذا الحزب الديني «الحاراديم» أصداءً واسعة ومشجعة بين اليهود الأشكناز إلى أن نجحت الحركة الصهيونية في خلق تيار معتدل داخل هذه الطائفة يعارض الصهيونية لكنه لا يعلن الحرب عليها، مما تسبب في انشقاق مجموعة لا بأس بها من التيار اليهودي الحارادي، أطلقت على نفسها في الثلاثينيات اسم «ناطوري كارتا» أي «حراس العهد»، التي اعتبرت أن قادة «أغودات يسرائيل» تسعى رغم معارضتها للصهيونية إلى استثمار الصهيونية، كأمر واقع يبرر لها التعامل معها، وعدم مقاطعتها.

(1) he.wikipedia.org/wiki- (علاقة الحاراديم مع الصهيونية بالعبرية)

وعند إعلان الدولة عام 1948 التف حزب «أغودات يسرائيل» على أفكاره التوراتية الرافضة لدولة إسرائيل الصهيونية، وبرر الاشتراك في عام 1949 بانتخابات البرلمان «الكنيست في دولة إسرائيل» ضمن تجمع أحزاب دينية صهيونية، معادية للصهيونية فازت بـ 16 مقعد من (120) 12.2 ٪ثم انفرط هذا التجمع، وتفتتت قواه في انتخابات عام 1951، فأصبح لحزب أغودات يسرائيل 5 مقاعد، وللحزب الديني القومي الصهيوني المفدال 10 مقاعد.(مقاعد الكنيست في دوراته الانتخابية المتعاقبة –موقع الكنيست الاليكتروني)

* آثار حرب حزيران 1967

بعد احتلال الضفة الغربية، وقطاع غزة وسيناء والجولان في حرب حزيران 1967 بدأت بعض القوى الدينية «الحارادية» المعارضة للصهيونية تتقارب في علاقتها مع الدولة الصهيونية، معتبرة الانتصار في تلك الحرب معجزة، وإشارة ربانية لاقتراب «الخلاص المسيحاني»، حين انطلق أحد زعماء التيار الديني «الحارادي «زعيم حركة «حاباد «الحاخام مينديل شنيورسون قائلًا:)[1]

«إن دولة إسرائيل ككيان صهيوني، تعد تعبيرًا عن الخلاص لكن» أرض إسرائيل «تحت السيادة اليهودية لها معان دينية مهمة، لذلك يهمنا عدم التنازل عن بقية أرض إسرائيل..» وفي المقابل رفض هذا المنطق مجموعة «دينية حارادية» أخرى، واستمرت على عدائها للحركة

(1) الحاخام مينديل شنيئرسون Mendel schneerson chabad.org /rebbe

الصهيونية، وعدم التعامل معها، وهي حركة «ساطمار» الصغيرة التي تتخذ من بروكلين في الولايات المتحدة مقرا لها وتتشدد في المحافظة على نقاء العنصر اليهودي البيولوجي.

ومع استمرار دولة إسرائيل أخذت آراء بعض التيارات «الدينية الحارادية» تصبح أكثر براغماتية من دولة إسرائيل، رغم استمرار الإعلان عن معارضتها للصهيونية مثل تيار المدارس الدينية اللتوانية (هايشيفا) بزعامة الحاخام الكبير أليعازار شاخ الذي لا يقدس إسرائيل الراهنة برغم تعامله معها، معتبرًا أن أقدس الأقداس هو «التوراة والمسيح القادم !».

ومع التطورات المستمرة في قلب هذه الطائفة تولدت اتجاهات دينية حريدية من ثلاثة تيارات أساسية يجمعها العداء للطبيعة العلمانية للدولة «تكفير الدولة» واعتبار إسرائيل نوعًا من أنواع المنفى «الروحاني طالما لم يظهر» المسيح «بعد» هي: تيار أغودات يسرائيل، وتيار حركة «حاباد»، وتيار «ناتوري كارتا»، وظهر أن بعض مجموعات هذه التيارات لا تهتم كثيرًا بالتوجه بأنشطتها إلى المجتمع اليهودي العلماني في إسرائيل، وتكاد تكون مجتمع «غيتو»مغلقًا على نفسه خصوصًا حركة «أتقياء ساطمار»، وحركة «حاباد». وفي مقابل هؤلاء توجد تيارات دينية حارادية تهتم بإعادة اليهود غير المتدينين إلى الدين اليهودي وهو ما يعرف بالعبرية (هاهحزرا للتشوفا)، وتطويعهم في المجتمعات الدينية المتزمتة.

ومن بين الحركات الدينية الحارادية الجديدة، والمتنفذة داخل المجتمع الإسرائيلي ظهرت حركة «شاس»[1] (شومري توراة سفارادیم)/ المحافظون الشرقيون على التوراة/ من أبناء الطوائف الشرقية «الحارادية» عام 1982بعد انشقاقها من قلب «حزب أغودات يسرائيل» احتجاجًا على سيطرة الأشكناز على هذا الحزب الديني، ورفضهم إعطاء الشرقيين تمثيلًا ملائمًا في مؤسسات الحزب وجمعياته. فقد شكل انشقاق «عوباديا يوسف» الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين وتشكيله قائمة انتخابية مستقلة باسم اليهود الشرقيين باسم (شاس) ضربة قوية «لأغودات يسرائيل» حين حصل في انتخابات عام 1984 على 4 مقاعد في الكنيست بينما لم يحصل «أغودات يسرائيل» إلا على مقعدين. وبعد اثنتي عشرة سنة أصبحت حركة «شاس» ثالث حزب إسرائيلي بعد حزب العمل، والليكود / 10/ مقاعد. وهي كحركة دينية «حارادية» للشرقيين أخذت تحصد تأييدًا هائلًا بين اليهود من أصول عربية، وشرقية مما جعلها لسان الميزان في تشكيل أية حكومة ائتلافية في إسرائيل.

«فأغودات يسرائيل» المنظمة الأم لجميع التيارات الدينية الحارادية المعارضة للصهيونية تفتتت خلال عقود متعددة على خلفيات إثنية، إشكناز سفاراد، وعلى خلفية براغماتية التعامل مع الأمر الواقع الإسرائيلي. وعلى خلفية فردية اعتماد هذا الحاخام، أو ذاك «مسيحًا» منتظرًا.

(1) موقع حركة شاس بالعبرية -تأسيس الحركة shas.org.il

ومع ذلك حقق هذا التيار الديني «الحارادي المتزمت «المعارض للصهيونية بكافة أجنحته انتشارا نسبيا في المجتمع الإسرائيلي وشكل لنفسه أحياء لا تضم سوى المنتمين له على شكل «غيتوات طائفية، وإثنية، ودينية متعددة جميعها تعارض الصهيونية، لكنها تتفاعل معها بهذا الشكل أو ذاك لصالح أفكارها، وزيادة نفوذها داخل اليهود، وإن كانت تتمنى زوال الصهيونية كحركة سياسية علمانية.

ومن المعروف أن كافة الأحزاب، والحركات الدينية لها مؤسسات خاصة طائفية ومذهبية، واجتماعية، وكذلك مدارسها الخاصة، وكنسها المحددة، وميزانيتها وقياداتها الروحية المختلفة مع بعضها بعضًا في أمور شتى.[1]

ومن أبرز مظاهر الخلاف الملموسة داخل إسرائيل بين جميع التيارات الدينية اليهودية المعارضة للصهيونية من جهة والصهيونيين العلمانيين من الجهة الأخرى تعد مسألة الخدمة في الجيش الإسرائيلي من أشد هذه مظاهر الخلاف الحاد.

فبعد قيام إسرائيل، وسن قانون الخدمة الإلزامية عام 1950 على كل يهودي يبلغ الثامنة عشر توجه عدد من زعماء «أغودات يسرائيل» بطلب إلى دافيد بن غوريون رئيس الوزراء ووزير الدفاع، لإعفاء طلاب المعاهد الدينية اليهودية من الخدمة العسكرية بحجة إعداد جيل من الحاخامين، تعويضًا عن الحاخامين الذين قتلوا إبان الفترة النازية في

(1) he.wikipedia.org/wiki- (المدارس الدينية هايشيفا عند المتدينين اليهود -بالعبرية)

أوروبا، وبحجة أن انشغالهم في التوراة، والتلمود لن يوفر وقتًا للخدمة في الجيش أبدًا. فوافق بن غوريون لاعتبارات سياسية، وبراغماتية على هذا الطلب الذي كان يعني في ذلك الوقت من عام 1950استثناء (400) يهودي متدين من الخدمة رغم أن بن غوريون كان يعلن دومًا، أنه يريد تشكيل أمة من الجنود لا أمة من الكهنة، لكن هذا الأمر، لم يكن هو السبب الحقيقي الوحيد لطلب إعفاء الشباب المتدينين «الحاراديم» من الخدمة، بل كان هناك أسباب جوهرية أخرى يفرضها الدين اليهودي أيضًا، فالمتدين اليهودي تدعوه التوراة، والتلمود إلى الحرص على حياته وروحه باعتبارها أولوية مقدسة لا تعلو عليها أي أولوية أخرى. فالتلمود يصر على حفاظ اليهودي على نفسه، حتى لو دعته الضرورة إلى التظاهر بتغيير دينه، وسلوك مسلك الأمم (الغوييم) التي اضطر العيش بينها ومسايرتها لإنقاذ الروح، وهذا ما يسمى «كيّوّاح هانيفيش»، أي حماية الروح. والسبب الآخر هو أن اليهودي المتدين تدعوه التوراة إلى عدم خدمة الصهيونية، ومؤسساتها العسكرية، ثم إن هؤلاء المتدينين يعتبرون أن صلاتهم، ودراستهم للتوراة، التلمود هي التي تنزل حماية «رب إسرائيل» على شعبه، وتحافظ عليه، أي أنهم «يحاربون»، لكن بالدعاء، والصلوات، وقراءة التوراة، يقول التلمود: «ليس مثل قراءة التوراة ما هو أفضل أبدًا». (بيكواح هانيفيش في التلمود – بالعبرية –[1]

(1) he.wikipedia.org /wiki (بيكواح هانيفيش بالعبرية–)بالانكليزية saving jews lives

لكن هذا الاستثناء من التجنيد الإلزامي خلق مشكلة دائمة للحكومات الصهيونية وأحزابها، بعد ازدياد عدد «المتدينين الحاراديم» فقد جعل ما يقرب من 26 ألفا من الشبان في سن الخدمة العسكرية حسب إحصاءات عام 1996 لا يخدمون في الجيش الإسرائيلي. وهذا الاستثناء من الخدمة أجج نار الخلاف بين المتدينين الصهيونيين (المفدال)، والأحزاب الصهيونية الذين يخدم أنصارهم في الجيش، ويتعرضون للموت من جهة، وبين التيارات الدينية الحارادية التي لا يخدم أبناؤها في الجيش من الجهة الأخرى مثل حركة «شاس» و «أغودات يسرائيل» و «حركة يهود التوراة» التي نشأت عن الحزب الأم أغودات يسرائيل مما جعل معظم تيارات المجتمع الإسرائيلي الصهيونية تستنكر تهاون الحكومة، مع المتدينين الحاراديم الذين يشاركون بالحكومة بعدد من الوزراء ونواب الوزراء، ويتحكمون بقرارات هامة، داخل الساحة السياسية الإسرائيلية، ولا يخدمون في الجيش الإسرائيلي، وهو أهم مؤسسة قامت عليها إسرائيل ولا يمكن الاستغناء عنها أبدًا.[1]

بل إن هذا الواقع حمل البعض على التساؤل، حول ما يمكن أن تفعله إسرائيل إذا ما أصبح ثلثا المجتمع الإسرائيلي من اليهود المتدينين الحاراديم. ففي هذه الحالة لن يكون هناك جيش يحمي البلاد، فهل ستحميها «قراءة التوراة والتلمود؟! أو صلوات الحاخامين الشبان؟».

(1) Knesset.gov.il /faction /heb /FactionP يسرائيل age.asp?PG (نص اتفاق بن غوريون بالعبرية مع أغودات

وتحولت هذه القضية إلى أكثر مواضيع الخلاف والجدل، الدائمة داخل المجتمع الإسرائيلي برمته، وداخل مؤسسات الحكومة والجيش والكنيست وليس بين المتدينين الصهيونيين والمتدينين اليهود بشكل عام، والعلمانيين غير المتدينين فحسب.

* الانقسام بين اليهود المتدينين والعلمانيين:

يمكن القول إنه بقدر ما كان الدين اليهودي وسيلة للصهيونية، فقد كان أيضا مشكلة للدولة الإسرائيلية، ومشكلة كبرى للدين اليهودي نفسه. فالدين اليهودي لم يكن منذ ظهوره سوى دين الطائفة التي تدار شؤونها الدينية، والدنيوية من رجال الدين الحاخامين، ولم يكن معتادا أبدًا، على ما يعرف بقوانين دولة تدعى إسرائيل بمعناها القديم، والعصري.. فقد قامت إسرائيل على العمل الصهيوني والفكر الصهيوني الذي أنشأ الدولة بموجب هذا الفكر وليس على شريعة الدين اليهودي. وكان مؤسس الدولة دافيد بن غوريون واضحًا جدًا حين كتب بعد قيام دولته: «على اليهودي من الآن فصاعدًا أن لا ينتظر التدخل الإلهي لتحديد مصيره. بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل الطبيعية العادية مثل الفانتوم والنابالم». واعتبر بن غوريون: «الجيش الإسرائيلي هو خير من يفسر التوراة».[1]

هنا يكمن باختصار جوهر، وأساس الخلاف بين العلمانيين الصهيونيين وبين المتدينين اليهود في إسرائيل وخارجها. فالتدخل

(1) بن غوريون 1886 -1973 (jewwatch.com /jew-leaders-ben-gurion.html)

الإلهي، وتفاسير التوراة المناقضة للفكر الصهيوني يجب أن تنحصر من وجهة النظر الصهيونية داخل رؤوس الحاخامين والكنس فقط.. لأن المطلوب من هؤلاء الحاخامين أمام المجتمع ومؤسسات الدولة الصهيونية هو خدمة المشروع الصهيوني للسيطرة على أرض إسرائيلي، وإنشاء دولة حديثة لليهود. ويقول البروفيسور اليهودي الشهير يشعياهو ليبوفيتش: «تأسست دولة إسرائيل كدولة دينية، ولا دينية في الوقت نفسه لكن الجمهور يعرفها، ويتعايش معها كدولة لا دينية». (الموقع الاليكتروني ليبوفيتش بالعبرية 1903--1994:leibowitz.co.il)

وكان أول صراع بين المتدينين اليهود، والعلمانيين في إسرائيل قد بدأ منذ إعلان الدولة عام 1948 حين أراد المتدينون التأكيد في إعلان بيان الدولة على وعد الرب، والشريعة اليهودية، والطابع الديني للدولة، لكن بن غوريون وحلفاءه لم يلبوا هذه المطالب واكتفوا بإعلان صيغة وسط، جاءت في نص إعلان الدولة: «بثقتنا برب إسرائيل ها نحن نوقع بأيدينا كشهود على إعلاننا هذا في دورة أعضاء مجلس الدولة المؤقت، هنا في المدينة العبرية مساء سبت 14/ 5/ 1948». (الموقع الاليكتروني للكنيست Knesset.gov.il وثائق إعلان الدولة بالعبرية)[1]

وقبل المتدينون هذا النص لأنه يقدم لكل منهم فرصة التعبير عن فهمه «لرب إسرائيل» كما يشاء. ومنذ ذلك الوقت شكلت هذه

(1) Knesset.gov.il /faction /heb /FactionPage.asp?PG يسرائيل (نص اتفاق بن غوريون بالعبرية مع أغودات

الواقعة مؤشرًا لطريقة التوفيق بين المتدينين والعلمانيين، بين الأحزاب الصهيونية غير المتدينة، والأحزاب الدينية اليهودية.

والمعروف أن «طبيعة الدين اليهودي «والتزمت الذي يتصف به المتدينون اليهود فكرًا وسلوكًا لا يتيح المجال مطلقًا لتحقيق شكل من أشكال التعايش مع غير المتدينين اليهود.

اعترف بذلك البروفيسور اليهودي يشعياهو ليفوفيتش، حين أعلن أنه: «يوجد في إسرائيل (بين اليهود) شعبان لا يستطيعان العيش معًا كل إلى جانب الآخر، ولا أن يتزوج الواحد من الآخر، وهما المتدينون، وغير المتدينين».(الموقع الاليكتروني ليبوفيتش بالعبرية -1903-(leibowitz.co.il:1994

والمتدينون اليهود يؤمنون بضرورة اعتبار التوراة و التلمود وأقوال الحاخامين عبر التاريخ الأسس الثابتة للتراث التربوي الديني اليهودي، وللسلوك اليهودي في إسرائيل، وبضرورة إعطاء الحاخامين الصلاحيات التامة لفرض الحياة الاجتماعية، والسياسية التي تتطابق مع تلك الأسس.

وعلى النقيض تمامًا يؤمن العلمانيون اليهود، بضرورة اعتبار مسألة الإيمان بهذه الثوابت، والالتزام بما تتطلبه من سلوك مسألة شخصية لا حق لأية مؤسسة إسرائيلية أن تعمل على فرضها، خصوصًا وأن النظام الإسرائيلي يعتمد الديمقراطية، وحرية الفرد.

فالبرلمان «الكنيست «هو المشرع الملزم بقوة الأغلبية لكل ما يتعلق بحماية حرية الفرد، وحياته الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وليس الكنيس اليهودي، ورجاله وتعاليمهم الدينية التي يريدون فرضها. كما أن الهوية و «الشخصية اليهودية» في إسرائيل لا يفرض تعريفهما أو يحددهما المتدينون اليهود، بل الليبراليون العلمانيون الصهيونيون وقواعد الحياة العصرية الراهنة.

لكن الخلاف الأساسي يقع هنا حول ماهية «القيم اليهودية»، لدى الطرفين وليس حول طريقة تطبيقها، أو تحقيق أهدافها.. «فالقيم اليهودية» الثابتة، والأساسية عند المتدينين اليهود لا تعتبر قيمًا جديرة بالإيمان عند الكثيرين من اليهود غير المتدينين، باستثناء شعورهم بالحاجة إلى القيمة التي يخلعونها على «وعد الرب وأرض الميعاد» كقيمة أساسية وركيزة لا بد منها لتبرير مشروعهم الصهيوني وحشد اليهود من حولها.

فقيمة قراءة التوراة، والتفرغ الدائم لها، وقراءة التلمود، وتطبيق فرائض رب إسرائيل وتنفيذ وصايا الحاخامين المقدسين المتناقضة لا تشكل عند اليهود غير المتدينين أية قيمة تستوجب الإيمان بها، أو العمل بموجبها، لأن القيمة المثلى عندهم هي الدولة الصهيونية الحديثة والديمقراطية، والليبرالية، ونشدان السعادة الملموسة في الدنيا، و «ليس الانعتاق الأبدي» الذي يعد به رب إسرائيل في مملكة السماء على «الأرض».. فالخلاف حول «الهوية اليهودية»، كما ينص عليها الدين اليهودي و «الشخصية اليهودية» كما تحدد سلوكها

وقيمها الشريعة اليهودية هو الخلاف الأساسي بين المتدينين و «غير المتدينين». وهنا ينقسم المجتمع «اليهودي الإسرائيلي «الراهن إلى قسمين كبيرين يصعب تحمل كل منهما للآخر، كما يؤكد الكثيرين من رجال الفكر اليهود. (تومي لابيد –حزب شينوي والفكر العلماني الصهيوني اليهودي –موقع حزب شينوي –1998 الحملة الانتخابية)

وإذا كانت اليهودية الأورثوذكسية (وهي السائدة في إسرائيل) لم تتحمل أفكار ودعاوى اليهودية الإصلاحية، والمحافظة الليبرالية، واعتبرتها هرطقة، تستدعي سلخ صفة «اليهودي» عن أتباعها فكيف ستتحمل في هذه الحالة اليهود غير المتدينين (العلمانيين) الذين يريدون بناء شخصية يهودية «غير دينية»!؟

ويعتبر الباحثان الإسرائيليان موشيه ليسك، ودان هوروفيتش أن إحدى الأزمات الخطيرة التي تهدد المجتمع الإسرائيلي، هي الصراع بين المتدينين، والعلمانيين اليهود غير المتدينين، حول «الهوية الثقافية الإسرائيلية».(دان هوروفيتش وموشيه ليسك:دور الدين اليهودي في الحياة العامة «بالإنكليزية «جويش فيرتشوال لايبراري –1989)

وقد توقع الاثنان ازدياد حدة مظاهر هذا الصراع في المستقبل، «خاصة وإن المتدينين اليهود، أصبحوا يشكلون قوة ديمغرافية واقتصادية، وتقليدية حولتهم إلى قطاع مستقل بحد ذاته، بل إلى دولة داخل دولة إسرائيل».

وبهذه المناسبة تمثل آراء الكاتبة اليهودية الإسرائيلية روت كالدرون صاحبة ومديرة «المعهد العبري في تل أبيب»، ما يمكن اعتباره مشروع تأسيس «يهودية عبرية جديدة» غير دينية.(موقع جمعية ألما alma web site-1996-)

تقول روت كالدرون: «أحضرت إسرائيل إلى العالم نوعًا جديدًا من اليهودية هي اليهودية العلمانية المريحة، التي لا تستلزم أية مطالب، أو استحقاقات دينية من أصحابها..

وهذا النوع من «اليهودية العبرية الجديدة»، لم يتولد عن اختيار واع، أو جهد لا بد من بذله لتحقيقها، لأن الدولة اليهودية «إسرائيل «حررت اليهود الذين يعيشون فيها، من الحاجة إلى تصنيع «هويتهم اليهودية».

«فإسرائيل تمثل المكان الوحيد بالعالم، الذي يضمن فيه اليهودي العلماني غير الديني أن يترعرع كيهودي، دونما حاجة إلى تربيته، وتثقيفه «باليهودية». فهذا اليهودي يجد نفسه في إسرائيل محاطًا «بكل ما هو يهودي» من أسماء شوارع، وإذاعة، وأناس، ومؤسسات يهودية تربوية، ولذلك لا يميل معظم العلمانيين إلى الانضمام إلى أحد الكنس اليهودية، بل ويؤكدون على عدم مبالاتهم نسبيا تجاه المذاهب، والطوائف اليهودية المتعددة. وتضيف كالدرون في مقابلة أجرتها معها القناة الثانية الإسرائيلية في عام 1996

وإذا كان الإصلاحيون، والمحافظون اليهود يلبون على طريقتهم مستلزمات اليهودية في الشتات، فالوضع في إسرائيل مختلف لسببين

أولهما: أن الإسرائيلي اليهودي يميل إلى التملص من كل ما هو «مؤسسة»، خصوصًا إذا كانت دينية، أو سياسية.

والسبب الثاني هو أن معظم العلمانيين اليهود في إسرائيل لا يشعرون أن هناك ما ينقصهم من ناحية الهوية اليهودية، ولذلك ليسوا بحاجة إلى وساطة الحاخام الأورثوذكسي للوصول إلى علاقتهم «بالرب»، أو «بالثقافة اليهودية»، وغير مطالبين بالبحث عن هذه التوسطات. ولأنهم عاشوا في «النادي اليهودي «الذي مثلته إسرائيل ليسوا بحاجة إلى ناد آخر».

لكن الكاتبة اليهودية تستدرك قائلة: «هذا ما يتناسب مع إسرائيل الراهنة، لكن ليس مع إسرائيل المستقبل. فثمة قوى كثيرة، تعمل على تحرير دولة إسرائيل من مهمتها «كدولة يهودية»، كما أن هناك قوى أخرى تسعى إلى» تهويدها دينيًا: (جعلها دولة لليهود فقط)، وبالمقابل، هناك من يطالب بتحويلها إلى «دولة كافة مواطنيها من عرب، ويهود، وهناك من يطالب بإبعاد الإكراه الديني اليهودي عن اليهود فيها. وأخيرا هناك من يحتقر الإكراه القومي الصهيوني فيها.. وعملية فصل الدين عن الدولة، لا يمكن أن تحدث خلال يوم واحد، تمامًا مثلما لن يجري ذلك، عبر تصويت واحد في البرلمان، ولا بقرار واحد من المحكمة العليا وبتقديري أن إسرائيل لن يكون بوسعها الاستمرار على ما كانت عليه، أمام الهجوم المتعدد الجبهات على الدولة اليهودية».

وتقول الكاتبة كالدرون في موقعها ألما: ولا يطلب جميع معارضي «الدولة اليهودية» من العلمانيين اليهود، التنكر لعلم إسرائيل ونشيدها

أو للدروس الدينية في المدارس، فمعظمهم يكتفون الآن بتحليل موجز نسبيًا لمعنى فصل الدين اليهودي عن الدولة. لأن هذا الفصل يمثل لهم هدفًا عادلًا لا بد من النضال من أجل تحقيقه. ونراهم لا يفكرون تقريبا بالإجابة على مسألة ماذا سيحدث بعد تحقيق هدفهم هذا؟..

وبتقديري أن الإجابة على هذه المسألة أمر حيوي، لأنه من المفروض أن نسأل أنفسنا عنه كيما نحسن الاستعداد للمستقبل، فمن دون تخطيط استراتيجي، وإعداد التحضيرات الصحيحة التربوية، والسياسية يصبح كل إنجاز باتجاه فصل الدين عن الدولة مجرد إنجاز مؤقت.

ويمكن القول إنه كلما ضعف تدخل الدولة بموضوع «الهوية اليهودية»، تعاظم تدخل المواطنين فيها ليصبح كل مواطن في هذه الحالة يتصرف بحسب رغبته، وميوله الخاصة، فتبهت الهوية اليهودية الموحدة، وتفقد معالمها. «وتتابع فكرتها:» ومن الممكن التوقع، بأن يصاب قسم من الجمهور اليهودي بالذهول من الحرية الجديدة، التي وجد نفسه يتمتع بها، أو يسارع قسم آخر لشراء «حقيبة هوية» جاهزة مما تعده المؤسسات المختصة بهذا النوع من «الهوية»، وقد يسارع قسم آخر إلى الحاخامين، وسيجد العلمانيون أنفسهم في مواجهة أوضاع جديدة. وأعتقد أن مجموعة من هؤلاء سيعتبرون هذه الحرية دعوة للدراسة، والتحليل والإبداع، دعوة لنسج هوية عبرية جديدة لا تتجاوب مع الإكراه المؤسساتي ولا تقوم فقط على تناقضها مع كافة أشكال الإكراه اليهودي.

هكذا تبدو المسألة للعديد من المفكرين اليهود تصنيع نوع جديد من «الهوية اليهودية» المعارضة «للهوية الدينية اليهودية» الأسطورية الخرافية.. هوية تصبح غير «يهودية دينية» وإنما «غربية ليبرالية» تتماثل مع هوية الغرب الأمريكي، أكثر مما تتماثل مع هوية الغرب الأوروبي، وتظهر في «الشخصية اليهودية»الجديدة، وهي مؤسسة على مقولة واحدة ووحيدة من التوراة... «أرض الميعاد» كمبرر افتراضي تقوم عليه في هذه المنطقة، بغض النظر عن الافتقار إلى الأساس التاريخي الحقيقي، والعضوي المنتمي لهذه الأرض، ومنطقتها.. وهذا ما يشبه تمامًا شخصية المستعمر المستوطن في القرن الثامن والتاسع عشر حين جيء به إلى جنوب إفريقيا، وزيمبابوي (روديسيا) سابقًا حاملًا معه مجموعة مصالح نفعية مادية، على حساب حقوق ومصالح أصحاب البلاد، ومستخدمًا فرضية ادعاها كتبرير لعمليته الاستيطانية في أراضي الغير، وعلى حساب وجودهم.

وهذا الانقسام بين المتدينين اليهود، والعلمانيين اليهود غير المتدينين تظهر حدته، وتوتراته بشكل جلي حين نتمعن فيما يقوله «الأدمور»، وهي عبارة مختصرة من العبرية تعني (سيدنا ومعلمنا وحاخامنا) «يسيسخار دوف روكاح «الذي يعد من أهم حاخامي طائفة المتدينين «الحاسيديم «(السلفيين): «سيأتي اليوم الذي سينقسم فيه شعب إسرائيل إلى قسمين وهذا اليوم قريب ليس يسارًا أو يمينًا، وليس إشكنازًا، وشرقيين، وإنما سينقسمون إلى يهود مؤمنين برب

إسرائيل والتوراة، ويهود آخرين يكرهون التوراة وفرائضها...».(موقع chabadpedia.co.il بالعبرية- يسيسخار روكاح مركز أعمال روكاح 1989)

وقال هذا الكاهن اليهودي في خطاب ديني احتشد له الكثيرون من المتدينين اليهود الشرقيين، والأشكناز الذين وقفوا أمامه أنّه: «إذا أردنا أن نسود في ذلك اليوم القادم/ علينا أن نتحد نحن المتدينين شرقيين، وغربيين بكافة مذاهبنا اليهودية، ونصبح شعبًا واحدًا كرجل واحد ذي قلب واحد»..

لكن هذا الاتحاد، الذي يدعو له «الأدمور» روكاح من الصعب جدًا قيامه، كما يقول المختصون بالدين اليهودي، ومذاهبه، لأنه يعني غلبة مذهب على الآخرين، وابتلاعهم بكافة مكوناتهم الإثنية، والمذهبية، والنفعية. وهذا ما يصعب تحقيقه، رغم ازدياد نسبة المتدينين اليهود، سنة تلو الأخرى خلال العقد الأخير من القرن العشرين.

وبالمقابل يحاول العلمانيون، من جهتهم أيضًا توحيد جهودهم للوقوف في وجه المتدينين اليهود، تحت يافطة عريضة هي «رفض الإكراه الديني اليهودي» الذي يحمل لواءه المتدينون اليهود، بشتى أنواعهم في إسرائيل.

وفي ظل هذا الشعار، والشعار الديني اليهودي المضاد له، الذي يدعو الى «فرض الطقوس الدينية، والفرائض اليهودية على المجتمع

«بدأ أتباع كل تيار الاصطدام بالتيار الآخر في الأوقات الأخيرة.. فقد اشتبك اليهود المتدينون مع غير المتدينين في القدس، عند شارع بارايلان مرات عديدة، بحجة أن العلمانيين يدنسون «السبت» فيه، حين يمرون بسياراتهم في ذلك الشارع. وفي كل مرة كانت التوترات، والاشتباكات لا تنتهي إلا بتدخل الشرطة الإسرائيلية.. بل إن القدس التي أصبحت مدينة للمتدينين اليهود (60٪من سكانها) بدأ يهجرها منذ سنوات العلمانيون للانتقال إلى تل أبيب حيث الليبرالية الاجتماعية، والتحرر من فروض الدين اليهودي ومن التجاور مع المتدينين اليهود. وتعترف زعيمة حزب «ميرتس «السابقة شولاميت ألوني، وهي من غلاة العلمانيين اليهود أن «الشعب منقسم حقًا الآن، فنحن مجتمع جماعي، أقمنا هذه الدولة على أساس ديمقراطي، وأقمنا المجتمع على أساس تحمل الفرد للآخر، واحترامه لطريقة عيشه، وهان نحن الآن منقسمون لدينا ما يزيد على خمسين بالمائة من العلمانيين، وبالمقابل هناك متعصبون متدينون، وعرب من المسلمين والمسيحيين، وهذا تنوع لا مفر منه، ويجب احترامه والتعايش بين أطرافه.. وما يصون وحدتنا هنا هو الديمقراطية، فإن فقدناها ضاع كل شيء،» وتعتبر ألوني أن إسرائيل «دولة ديمقراطية لجميع سكانها»، بينما يعتبر عضو الكنيست المتدين الصهيوني من حزب «الطريق الثالث» البروفيسور لوبوتسكي أن إسرائيل «دولة يهودية ديمقراطية وليست ديمقراطية فحسب، ولذلك لا بد من الحفاظ على أساس هويتها اليهودية، والتمسك بها بالشكل المناسب، وهو الثقافة اليهودية التوراتية، والتلمودية..». وهذا هو نفس

رأي «المتدينين القوميين».knesset.gov.il) من وثائق الكنيست بالعبرية وبرنامج ميريتس الانتخابي 1996)

لكن (ألوني) تختلف، وتعبر عن رأي يدافع عنه قسم لا بأس به من العلمانيين حين تقول: «إننا في مجتمع متعدد تربويًا، واجتماعيًا، وثقافيًا، ومفهوم المتدينين للديمقراطية، هو استغلال نفوذهم لفرض قيمهم التي لا نتفق معها.. فأنا لا أريد من وزير التعليم زبولون هامير (زعيم المتدينين القوميين) تعليم أولادي بأن الخير في قتل كل الغوييم (الأغيار) من غير اليهود أليس هذا ما تدعو إليه التوراة؟؟».

و تعد قصة شنيئور عينام إحدى القصص الطريفة، التي يمكن أن توضح بعض مظاهر الاختلاف بين المتدينين، والعلمانيين اليهود. فعينام كان متدينًا ثم تخلى عن تدينه اليهودي، وظل متمسكًا بالصهيونية، وحاول المتدينون استعادته إلى اليهودية، فأخرجوا له كتبًا للكاهن اليهودي الأكبر الراحل، أبراهام كوك أحد غلاة المتدينين، والأشد تأثيرًا عليهم في القرن العشرين وقرأوا له من أحد الفصول بعنوان «تقاليد الآباء» فقرة تقول: «إن قيمة الحب.. الحب للجميع، تسبق قيمة الإيمان» وحاولوا مناقشته في هذه الآراء باعتبارها من قيم التوراة، والتلمود لإقناعه بالعودة إليهم. لكنه كما تحدث كاتب المقال الصحفي الشهير «إسرائيل سيغل»، أخرج لهم من نفس مكتبة الكاهن كوك نصا من التلمود جاء فيه: «الفرق بين روح اليهودي وروح غير اليهودي، أكبر وأعظم من الفرق بين روح الحيوان، وروح الإنسان»،

ويؤكد سيغل في مقاله هذا بأنه «لو كشفت وأعلنت هذه الفقرة باللغة الإنكليزية، أو الفرنسية، لبرقت سيوف الأوروبيين غاضبة. لكن في إسرائيل، يعتبر كل ما قاله، وكتبه الكاهن كوك بمرتبة كلام الأنبياء والصديقين عند اليهود المتدينين».(صحيفة معاريف 1996 الملحق الأسبوعي بمناسبة مائة عام على كتاب الدولة اليهودية لهيرتزل)

ويعتبر الحاخام (أبراهام عينام) تلميذ الكاهن كوك، والداعية لأفكاره وهو شقيق شنيئور أنه «من المستحيل خلق نوع من التوافق بين المتدينين اليهود، وغير المتدينين منهم.. وفي يوم ما سيقوم حاخام ويعلن حكم الحاخامين على إسرائيل، ويصبح الحاكم المطلق فيها، وعند ذلك سنتحول إلى شعبين، هذا ما جرى سابقًا مع الصدوقيين، وهذا ما جرى مع الايسيين.. لقد انتهى زمن المداهنات، وأصبح من المستحيل الآن التحدث عن التحمل..».

وتتساءل شولاميت الوني في برنامج يقدمه دان مارغاليت في الخامسة مساء من كل يوم في القناة الأولى للتلفزيون الإسرائيلي في شهر تموز 1997: ولكن ما هي القيم اليهودية؟ ألسنا مختلفين كيهود في فهمنا لها؟ فانا أفهم القيم اليهودية على النحو التالي:

«لقد خلقنا الرب، وكل فرد مسؤول عن أعماله أمام نفسه، والله والآخرين، ولا حاجة لنا بمن يفرض أحكامه علينا من الحاخامين».

ويعترف الحاخام هارتمان: «نعم هناك من يتمسك من بيننا بتنفيذ قيمة: «أن الخير في قتل الغوييم «(أي غير اليهود)»

والحقيقة أن اختلافًا كهذا حول القيم الدينية، ومدى الالتزام أو الإيمان بها وارد عند أصحاب الديانات السماوية الأخرى، لكنه يبقى خلافًا ثانويًا لا تأثير له على انتمائهم القومي، أو التاريخ الملموس والمشترك، بينما على النقيض تمامًا نجد أن الاختلاف حول القيم اليهودية عند «اليهود» متدينين، وغير متدينين، يتحول إلى خلاف جوهري يمس، ويقوض الأساس الذي استندوا إليه في إنشاء دولة إسرائيل، وهو «الدين فحسب».

وقد اشتد هذا الخلاف مؤخرا، بعد أن تبين أن موجة المتدينين اليهود أخذت تتسع، ويزداد نفوذها في قلب الوضع الاجتماعي، والتربوي في إسرائيل.. وإذا ما استعرضنا إحصائية توزع التلاميذ في المدارس الابتدائية على المدارس الدينية، والحكومية لتبين لنا في عام 1980 أن:

72 ٪من التلاميذ يتعلمون في المدارس الحكومية العامة علمانية تقريبًا.

19،6 ٪من التلاميذ في المدارس الحكومية الدينية (تخصص ديني فقط).

8 ٪من التلاميذ في مدارس المتدينين اليهود الخاصة.

والمجموع هو وجود أكثر من 27 ٪ يدرسون في مدارس دينية.

وفي عام 1996:

63 ٪في المدارس الحكومية العامة.

20 ٪في المدارس الحكومية الدينية.

15.6 ٪في مدارس المتدينين اليهود الخاصة.

المجموع 35.6 في المدارس الدينية.

أما في القدس لوحدها، فثمة 51 ٪من التلاميذ يدرسون في المعاهد الدينية الخاصة بإعداد الحاخامين.

وتتوضح عملية الانقسام أكثر فأكثر، حين نجد أن المتدينين اليهود بشتى طوائفهم، لهم مستوطناتهم الخاصة، التي لا يعيش فيها معهم علمانيون غير متدينين، ولهم أحياؤهم الخاصة بالمدن وكأنما يعيشون في «غيتوات» اختيارية تجنبًا للاختلاط بغير المتدينين من «إخوانهم» اليهود...[1]

ولا يخفي العلمانيون اليهود حقيقة ازدياد هذا النفوذ، وامتداداته البشرية والمكانية في «إسرائيل» بل هم يتحسسون أخطاره على حياتهم الاجتماعية والتربوية، وعلى مفاهيم الليبرالية المتحررة. ويمثل الواقع

(1) he.wikipedia.org/wiki- (المدارس الدينية هايشيفا عند المتدينين اليهود -بالعبرية)

السياسي الراهن الذي تعبر عنه الأحزاب الإسرائيلية انعكاسًا لقاعدة الامتداد الاجتماعي في «المجتمع الإسرائيلي».

فعلى الصعيد السياسي، ازداد عدد الأعضاء المنتمين للأحزاب الدينية في «الكنيست» البرلمان بنسبة كبيرة، هي الأولى من نوعها في تاريخ الحياة السياسية الإسرائيلية.

ففي أول برلمان إسرائيلي عام 1949 كان عددهم 16 عضوًا من 120 أي 12.2 ٪وفي البرلمان السابع عام 1969 ازداد عددهم إلى 18 عضوًا، وفي البرلمان الرابع عشر 1996 ازداد عددهم إلى 23 مقعدًا. الأمر الذي منحهم قوة متنفذة في الحكومة الائتلافية التي أقامها معهم بنيامين نتنياهو.. والملاحظ أن ازدياد عددهم إلى 23 مقعدًا تمثله ثلاثة أحزاب دينية رئيسة (هي حركة «شاس» 10 مقاعد، وحزب المتدينين القوميين (المفدال) 9 مقاعد و «حركة يهود التوراة» 4 مقاعد)، وهذا ما جعلهم يمثلون أوراق قوة وفرت لهم فرض الكثير من مواقفهم على الحكومة الإئتلافية، التي يرأسها بنيامين نتنياهو، بل إن عددهم يزداد حين نضيف إليهم بعض أعضاء الكنيست من المتدينين المنتمين لأحزاب علمانية، مثل حزب الطريق الثالث، حيث نجد عضو الكنيست المتدين «لوبوتسكي»، وكذلك «بنيامين ايلون» من حركة «موليديت» (أي الوطن)، ويعقوب نئمان وزير المالية الحالي متدين مستقل.[1]

(1) Knesset.gov.il (دورات الكنيست بالعبرية منذ عام 1949)

وفي الحكومة الإسرائيلية عام 1996 برئاسة نتنياهو احتل المتدينون وزارة الأديان، والتعليم، والعمل، والداخلية والمواصلات، بالإضافة إلى وجود ممثلين عنهم كنواب وزراء في بعض الوزارات الأخرى، وإلى جانب هذه الأحزاب الدينية المتصادمة مع العلمانيين ثمة منظمات يهودية دينية أشد تطرفًا، وعلنية في عرض آرائها الخطيرة من النواحي السياسية، وأكثر ميلًا لاستخدام العنف ضد العلمانيين. فهناك منظمة «إسرائيل حي وقائم» بقيادة الحاخام «إيهودا عتصيون»، التي يدعمها ستون حاخامًا من حاخامي المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية. وهناك «منظمة أمناء الهيكل اليهودي بقيادة الحاخام «غرشون سولومون». وهاتان المنظمتان تدعوان علنا إلى هدم المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وبناء «الهيكل اليهودي» في موقعهما، وخلق دولة التوراة.keshev.org.il[1] (بالعبرية: الجمعيات اليهودية الدينية وهدم قبة الصخرة)

وكانت هاتان المنظمتان، وستون حاخامًا يهوديًا قد أكدتا على هذا الهدف من خلال إحدى المقابلات التلفزيونية في برنامج القناة الأولى للتلفزيون الإسرائيلي الرسمي باللغة العبرية، حين أعلن «يهودا عتصيون» للصحفي دان مرغليت ضمن برنامج يوم الاثنين الأسبوعي: «أن منظمته ستسعى إلى هدم الأقصى المبارك، ونقل أحجاره مع قبة

(1) keshev.org.il(1997) دراسة حول الجمعيات اليهودية الدينية التي تدعو لهدم القبة الصخرة وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه)

الصخرة إلى مكة المكرمة، حيث ينتمي العرب المسلمون، ومن ثم تعلن دولة التوراة». (يهودا عتصيون أند ذا تيمبيل ماونت -يوتيوب سيرش)

وإلى جانب هاتين المنظمتين الدينيتين السياسيتين، ظهرت مؤخرًا منظمة دينية متطرفة، أطلقت على نفسها اسم «جبهة الفكر الصهيوني»، وهي التي تنتمي إليها الفتاة اليهودية من أصل روسي «تاتيانا سوسكين»، التي وزعت منشورًا يسيء إلى سيدنا محمد عليه السلام، والإسلام والمسلمين في شهر حزيران عام 1997 في مدينة الخليل.

ورغم أن جميع العلمانيين اليهود، هم من المؤمنين بالفكر الصهيوني، ومشروعه التوسعي، إلا أنهم على موقف متعارض، وصدامي من النواحي الاجتماعية، والثقافية فقط مع المتدينين اليهود بشتى انتماءاتهم وتنوعاتهم، أما في المجال السياسي، فيظل الاختلاف ثانويًا تكتيكيًا، وغير جوهري، وتشير معظم تقديرات المختصين بالشؤون الإسرائيلية، إلى احتمالات تعاظم الخلاف بين اليهود المتدينين، وغير المتدينين في المستقبل، خصوصًا على خلفية عدم خدمة المتدينين بالجيش الإسرائيلي، وكذلك على خلفية محاولات فرضهم الإكراه الديني على المجتمع الإسرائيلي الليبرالي..